بقايا قوات الاق قوينلو، وكان السلطان يعقوب في اعقاب هزيمة غريمه السابق الوند ميرزا، قد اعلن نفسه شاها عام 1501 على فارس وخوزستان والعراق، الا انه دحر امام الشاه اسماعيل في معركة قرب مدينة همدان عام 1503م، وبذلك ضمن اسماعيل السيطرة على وسط وغرب ايران. ثم اخضع مقاطعات مازندران وجرجان على بحر قزوين ومدينة يزد في عام 1504م. كما الحق ديار بكر بدولته وامن حدوده الغربية بين سنتين 1505-1507م. اما سلطان الاق قوينلو مراد فقد توجه الى شيراز ومنها توجه الى بغداد محاولا اعادة الحياة الى امارته المتداعية، وحاول مصالحة الشاه اسماعيل وارسل اليه وفدا يعرض عليه ان يبقى في بغداد ويدفع جزية للشاه، الا ان اسماعيل لم يسمح للوفد بالوصول اليه وامر بذبحهم جميعا. قضى السلطان مراد في العراق خمس سنوات يشوبها الذعر والقلق بسبب تصاعد واتساع قوة خصمه اسماعيل الذي بسط حكمه على كل الهضبة الايرانية ثم وجه انظاره الى العراق.

3. احتلال بغداد

كان السلطان مراد بن يعقوب يدرك عجزه عن الوقوف وحده امام اطماع الشاه، ولذلك استنجد بإمارة ذي القدر في الأناضول ولكنها كانت تعاني الخور والضعف في اواخر ايامها، ولهذا باءت محاولات الاسناد التي قدمها اميرها علاء الدين له في 1502و1507م بالفشل، وتعرضت اراضي الامارة في الاناضول الى تخريب شامل ومذابح مروعة ارتكبتها قوات الشاه. فاتجه السلطان الى قانصوه الغوري اخر سلاطين المماليك في مصر والشام الذي كان يدرك خطورة استيلاء الشاه اسماعيل على العراق، وقد اتخذ الغوري بعض الاجراءات الاولية لإعداد حملة ضد الشاه، وفرض الضرائب على اهل دمشق لتمويل كتائب المشاة التي ستتحشد في حلب استعدادا لمجابهة الشاه. ولكنه في واقع الامر، لم يكن مستعدا عمليا لنجدة مراد بن يعقوب وانقاذ العراق. فالظروف العامة

لقد شهد عهد سليمان باشا الكبير علاقات جيدة مع العشائر في بداية حكمه، الا انها سرعان ما ساءت الى درجة شهد عهده انتفاضة عشائرية تميزت باتساعها وعمقها ونتائجها، اندلعت في الفرات الاوسط عام 1787 تزعمها سليمان الشاوي شيخ العبيد، وثويني العبدالله شيخ مشايخ المنتفك وحمد الحمود شيخ الخزاعل، واستهدفت القضاء على حكم المماليك وقد تمكن الثوار من فرض سيطرتهم على البصرة، وتولى حكمها الشيخ ثويني العبدالله وهرب متسلمها المملوكي ابراهيم بك الى مسقط. وظلت البصرة تحت حكم الشيوخ العرب بضعة اشهر(6 ايار25- تشرين الاول)، ولم تخرج عن هذا الحكم الا بعد ان حشد المماليك قوات كبيرة لمواجهتها، ودارت معركة رهيبة في مكان يدعى ام الحنطة قرب البصرة انتهت بعودة الهيمنة المملوكية على المدينة ، وفي عام 1788 اتفق البابانيون ومتسلم البصرة على الثورة التي استهدفت قيام حكومة كردية في العراق بمساعدة بعض العشائر العربية، وقبل شروع متسلم البصرة بتنفيذ هذه الحركة بدأ باستمالة القوات التي سبق أن تركها سليمات باشا في البصرة، والمؤلفة من جنود اكراد اللاوند، كما كاتب ثويني حول ما يريد القيام به فأبدى استعداده للمشاركة، ولأجل تشجيعه كتب إلى باشا بغداد يقترح عليه اسناد مشيخة المنتفك اليه بدلا من حمود الثامر الذي تولى المشيخة، وما أن علم حمود الثامر بما يدبر له حتى أسرع بالمجيء إلى بغداد واخبر الباشا بما ينوي متسلم البصرة القيام به. وعندئذ قرر باشا بغداد القضاء على المتسلم بطريقة لا تتطلب إرسال حملة عسكرية ضده، وذلك بان اصدر امرا إلى اسماعيل اغا تكه لي بالعودة إلى بغداد هو ومن معه من القوات وجعل مقره في زنكباد كمحاولة لقطع أي اتصال بينه وبين متسلم البصرة، وفي الوقت نفسه ارسل محمد بك الشاوي إلى البصرة ليسدي النصيحة إلى المتسلم ويحذره من مغبة القيام بعمل يجلب النقمة عليه، ثم يقوم الشاوي باتصاله سرا بقائد الاسطول مصطفى اغا الحجازي، ويطلب اليه باسم الباشا أن يتخذ ما يلزم للقضاء على المتسلم.

لقد علم المتسلم بما يدبر له في الخفاء، فقام بقتل قائد الاسطول، ولما علم الباشا بذلك لم ير بدا من التحرك نحو البصرة على راس قوة عسكرية، وفي اثناء ذلك قدم عليه رسول من سليمان الشاوي يطلعه على المراسلات التي كان قد بعثها اليه عثمان باشا بابان

في اثارة المؤامرات الداخلية التي اودت في النهاية بحياته. وفي اوائل ايار 1802 ذكر المقيم البريطاني في بغداد هارفورد جونز بريدجس في أحد تقاريره أن الباشا اصبح مشلولا من الخصر حتى اسفل جسمه شللا تاما، أمّا حكومته فقد وصفها بانها وصلت اقصى درجات التفكك والغباء، ثم جاءت نهاية الباشا في يوم 7 اب قبل صلاة الظهر. وقد دفن في مقبرة الامام الاعظم، وكان قد بلغ من العمر الثمانين عاما تاركا ثلاثة اولاد صغار هم سعيد وصادق وصالح، واربعة اصهار هم الكتخذا علي باشا وسليم اغا وداوود اغا الخزنة دار ونصيف اغا كتخذا البوابين.

في اعقاب وفاة سليمان باشا الكبير نشب الصراع مجددا بين الطامعين في ولاية بغداد وحاول بعضهم الاستعانة بالمقيم البريطاني هارفورد جونز كما فعل احمد اغا رئيس الانكشارية، والذي اعلن تمرده على علي باشا مرشح سليمان باشا لولاية بغداد قبل وفاته، إلاّ انه دحر من قبل قوات الوالي الجديد علي باشا الذي تمكن من الحصول على منصبه بتدخل المقيم البريطاني في بغداد، ولكن حكم علي باشا (1802-1807) تميز بعدم الاستقرار وتزايد الثورات العشائرية، كما انتشر الطاعون خلال مدة حكمه في بغداد، مع ذلك لم يخل عهده من بعض الانجازات، فقد انصرف علي باشا الى تشجيع الزراعة والصناعة والتجارة، واستدعى من اوروبا احد الخبراء الفنين وهو المسيو باسيف مع جماعة من امثاله، واشترى المعامل لصنع الخام وصنع الاسلحة، اذ كانت تنتج في اليوم الواحد 12 بندقية، وقد شهدت الحياة الاقتصادية ازدهارا نوعا ما، ثم اتجه الى الناحية العسكرية فانتخب عدد من الضبط المتعلمين وخصصهم لتعليم وتدريب ابناء ورجال المماليك بصورة خاصة، واتخذ من هؤلاء ضباط للجيش الاختياري الاهلي فكان لديه 8000 جندي من المشاة، و10000 من الخيالة والمدفعية. وقد انتهى حكمه باغتياله في 8 اب 1807.

- سليمان باشا الصغير (1807 - 1810):

لقد كانت رغبة الباب العالي شديدة في انهاء حكم المماليك في العراق في اعقاب مقتل علي باشا وذلك بإسناد منصب الولاية الى الصدر الاعظم الاسبق ضياء يوسف باشا

ولكن سرعان ما تراجع عن موقفه مفضلا اسناد ولاية بغداد إلى الكتخذا سليمان الذي عرف فيما بعد بسليمان باشا الصغير، وذلك للأسباب التالية:

1. وقوف السفير الفرنسي في الأستانة الجنرال سباستياني بجانب سليمان باشا مرشحا اياه لولاية بغداد.
2. عمل سليمان باشا على ارضاء الباب العالي بالأموال، فقد ذكر انه ارسل بيد احد التجار إلى الباب العالي مبالغ كي توزع على المتنفذين من رجال الحكم، كما تعهد بأرسال ما تبقى من اموال سليمان الكبير وما خلفه علي باشا في حالة تعيينه بمنصب باشوية بغداد.
3. الظروف الداخلية التي كانت تعيشها الاستانة على اثر نجاح الانكشارية في قتل السلطان المصلح سليم الثالث.
4. وقوف أهلي بغداد وعلماؤها واعيانها إلى جانب سليمان باشا معلنين رغبتهم في توليه باشوية بغداد، وقد بعثوا بهذا الخصوص التماسا إلى الباب العالي، اكدوه بالتماس ثان. وازاء هذه الاسباب وخشية من عصيان المماليك قرر الباب العالي اسناد باشوية بغداد إلى سليمان باشا - المعروف بالصغير- وبعد تأخر طويل وصل الفرمان السلطاني بتعينه بهذا المنصب إلى بغداد في اواخر ربيع سنة 1808.

بدأ سليمان باشا حكمه بان جرد حملة تولي قيادتها وسار بها نحو كردستان لقتال عبد الرحمن البابانى الذي عرف بعدم طاعته لحكومة بغداد وبثوراته المتكررة عليها مستعينا بمؤازرة ايران له. وبالرغم من أن الحملة قد استطاعت أن تلحق الهزيمة بعبد الرحمن البابانى في معركة دربند إلاّ أن التجائه إلى ايران والدعم الذي ناله منها حيث خصصت له عشرين الف تومان ليستعين بها على محاربة حكومة بغداد، قد اضطر باشا بغداد إلى اصدار العفو عنه واعادته حاكما على كردستان. لقد حاول سليمان باشا الصغير الأستقلال عن الباب العالي ويتضح ذلك بما قام به من اعمال، كإلغاء بعض الضرائب والرسوم التي كانت تجبى

خبر عزل الوالي وغضب السلطان عليه، فانتشر الامر لدى سكان بغداد بسرعة، واعلن فرق الانكشارية ثورتهم على الوالي، وراح احدهم وهو الموصلي عبد الرحمن اغا الاورفه لي يحرض الموصليين الساكنين في بغداد ضد الوالي حتى تمكن بمن معه من الانكشارية وبعض البغداديين الناقمين من مهاجمة القلعة واحتلالها بعد أن قتلوا اسماعيل اغا قائد الانكشارية المرابط فيها وارسلوا رأسه إلى حالت أفندي. ولكن ما حدث لم يكن ليضعف من قوة سليمان باشا وصموده، إذ وقف يشد من ازره المماليك، واكثرية الشعب البغدادي، واخذت نيران المماليك تصلي الثائرين من الصباح حتى العصر وتمكنوا من تشتيتهم واسترداد القلعة منهم. كما اخذ بتعقب الموصليين وينتقم منهم وامر بالا يقيم موصلي في بغداد ولو كان ساكنا فيها منذ اربعين سنة وقبض على عشرين رجلا منهم وامر بضربهم بالسياط ثم سجنهم وبذلك اختفى كل الموصليين ولكن الكثير منهم تمكن من الافلات والهروب من بغداد. وقد استغل حالت افندي انشغال سليمان سلمان باشا بهذه الاحداث الداخلية وهجم بقواته على قوات بغداد واضطر قائدها فيض الله اغا على الانسحاب بجنوده إلى بغداد وظل حالت افندي يطاردها ويتعقبها حتى اقترب من الاعظمية ومن هناك اخذ الخزنة دار السابق عبد الله اغا بمراسلة بعض المماليك ليبعدهم عن والي بغداد. واخيرا وقعت المعركة بعد ظهر اليوم الخامس من تشرين الأول 1810 وانتهت بغروبه، وكانت النتيجة أن تخلت عن سليمان معظم قوته، فاندحرت اندحارا تاما، فاتجه إلى الجنوب، للاحتماء عند شيخ المنتفك حمود الثامر ليحتمي به، غير انه قتل هناك على يد رجال من عشيرة الدفافعة من شمر طوقة، ثم قطع راسه وقدم هدية إلى حالت أفندي، فأمر هذا بسلخ الرأس وارساله إلى الاستانة، ولما مر الرأس بالموصل فرح الناس شماتة به. ويتهم البريطانيون بأن لهم اصبعا في سقوط الباشا، لان ريج رفض تقديم اية مساعدة إلى سليمان باشا مدعيا بانه لا يستطيع إلاَّ أن يلتزم بالحياد التام، بالرغم من انه كان يستطيع التوسط له لدى حالت افندي كما توسط لديوان افندي احد موظفي الباشوية وانقذ حياته، إلاَّ أن ريج لم يكن من

مصلحته بقاء باشا كان ميالا للفرنسيين، أما ديوان افندي فانه كان قد ساعد ريج في نزاعه السابق مع الباشا وقد يكون في الغد باشا لبغداد.

بعد ان حقق العثمانيون الخطوة الاولى التي انتهت بمقتل سليمان باشا الصغير، برزت مشكلة من سيتولى السلطة، ويبدو ان المبعوث العثماني حالت محمد سعيد افندي كان يرغب بإناطتها الى اغا الانكشارية باعتبار ان ذلك يعني عودة الحكم العثماني المباشر. وفي الوقت نفسه ابدى عبد الرحمن الباباني الذي كان طامعا بولاية بغداد رغبته بتولي السلطة، وتعهد بان يزيد المبلغ الذي تبعثه بغداد الى خمسة اضعاف. غير ان الباب العالي استشار حالت افندي الذي بعث بتقرير الى اسطنبول لم يحبذ فيه اسناد ولاية بغداد للباشا البّاباني مقراً بان المماليك وان كانوا مصدر ازعاج للدولة، وترغب في التخلص منهم، الا انهم لم يلجئوا يوما الى دولة اجنبية. فلما علم بذلك عبد الرحمن الباباني اعلن اسناده لاحد المماليك ممن كان لاجئا لديه. فاضطر المبعوث الى القبول بتعيينه بمنصب نائب الوالي، ولكن في الوقت نفسه اخذ يخطط للإطاحة به. فعرض الامر على قائد قوات الموصل احمد الجليلي الذي رفض تنفيذ الخطة بالرغم من ان المبعوث قد وعده بباشوية بغداد. ويبدو ان احمد الجليلي استكبر خطورة العملية تقديرا منه لقوة المماليك، فما كان من المبعوث الا ان اوعز لرئيس الانكشارية بالتحرك واستلام السلطة. وقد عمد هذا قبل اعلان حركته الى تحريض السكان لإخراج القوات البابانية من بغداد. ثم اعقب ذلك بالقيام بحركة فاشلة تمكن المماليك من احباطها، فاضطر المبعوث الى ان يملأ فرمانا باسم المملوك عبد الله اغا. وبذلك اخفق الباب العالي من جديد من ابعاد المماليك عن الحكم.

تولى عبد الله باشا ولاية بغداد بين (1810-1813)، ولكنه دخل في صراع مع سعيد بيك الابن الاكبر لسليمان باشا الكبير وقد انتهى الامر بمقتل عبد الله وتولي سعيد بك منصب باشوية بغداد (1813-1816) بإسناد من حمود الثامر شيخ المنتفك، والذي انتهى عهده هو الاخر بمقتله ليتولى داوود باشا ولاية بغداد.

من السليمانية حول استمالته للاشتراك في الحركة، كما واخبر الباشا بتفاصيل الخطة التي اتفق متسلم البصرة على تنفيذها مع الباشا الباباني، تلك الخطة التي تستهدف احتلال بغداد وازاحة الباشا عن الحكم. وكانت الخطة المقررة تقوم على أن يعلن المتسلم عصيانه في البصرة وعند تحرك باشا بغداد نحوه يدخل الباشا الباباني بغداد بقواته ويستولي على الحكم، لقد انقذ الشاوي بموقفه هذا باشا بغداد من خطر ازاحته عن الحكم. ويبدو أن الشاوي اراد بموقفه هذا أن ينتقم من الافراد الذين كانوا قد ساهموا في الحملات العسكرية التي وجهت اليه حين اعلن ثورته، وكانوا سببا في انتصار حكومة بغداد عليه، وازاء كشف هذا المخطط الخطير عرف باشا بغداد كيف يجلب الباشا الباباني إلى بغداد ويتخلص منه، فقد دعي عثمان باشا الباباني إلى بغداد حيث زُوجت اخته، إلى اخي الكتخدا احمد اغا، وبهذه الوسيلة عزل الباباني عن قواته وعن تأثير حليفه في البصرة، ثم القي القبض عليه واودع السجن.

أما متسلم البصرة وحليفه ثويني فقد زحف الباشا نحوهما بقواته في شباط عام 1789 وما كاد يبلغ البصرة حتى هرب المتسلم إلى الكويت، وهرب ثويني إلى البادية، وعلى اثر ذلك اصدر الباشا امرا بتعيين عيسى الماردياني متسلما للبصرة، واعيد حمود إلى مشيخة المنتفك.

إن هذه المقدرة التي كانت يتمتع بها باشا بغداد في معالجة المشاكل وفي قيادة الحملات وتحقيق الانتصارات كان لها الصدى الحسن لدى الباب العالي، إذ كسب بها اعتماد السلطان وثقته به حتى كلفه في عام 1790 بمحاربة الاكراد الماليين بزعامة تيمور الملي، وكان هؤلاء قاطنين فيما وراء ماردين شمالا بعد أن عجز ولاة الرقة وديار بكر من اخضاعهم، وقد تمكن باشا بغداد من انزال الهزيمة بهم، وفي طريق عودته إلى بغداد عرج نحو المتمردين من اليزيدية فاعدم زعمائهم وحز رؤوسهم وارسالها إلى الاستانة.

لقد اتعبت هذه الحروب والمشاكل باشا بغداد وانهكت قواه، وظهرت عليه علامات الشيخوخة والعجز حتى قيل انه قدم استقالته في عام 1793 إلى الباب العالي مرشحا بمكانه من كان ساعده الايمن خلال عدة سنوات وهو احمد كهية الشهير بابن الخربندة، غير أن الباب العالي رفض ذلك وابقاه في مكانة تقديرا لخدماته. لقد ادى ترشيح احمد كهية لمنصب الباشوية

الى هنا مداخل أولى ن

وهو اخر الولاة المماليك في العراق وتميز عهده بمتغيرات سياسية كبيرة كان من
حركة الاصلاحات في العراق.

لقد واجه داوود خلال توليه الحكم ما كان قد واجهه غيره من الولاة، من ثورات
عربية، ومطالبين بالحكم، واضطراب الامور في كردستان، وهذا مما ترتب عليه
من تدخلات ايرانية عسكرية، حتى بلغ الامر أن زحف الشاه زاده محمد علي ميرزا
بغداد. وقد تمكن داوود في بداية حكمه من اخضاع العشائر الثائرة، كعشائر بني تميم
الجادة من الدفافعة وبني عمير، بتوجيه الحملات عليها سواء تلك التي تولى قيادتها بعض
أو التي اضطلع بها كتخداه محمد اغا ضد عشائر الدليم وشمر الجربا وشمر طوقة.
لكن هذه الاجراءات لم تجده نفعا، إذ سرعان ما تفاقمت عليه الامور واحاطت به الاخطار
من كل جانب، فالجيوش ايران اخذت تتحرك نحو العراق. وصادق بك - اخو الوالي
السابق - راح يحاول أن ينتهز الفرصة ويعلن العصيان والتمرد، ثم تمكن من الفرار ليلا من
بغداد(1818)، والتجأ إلى شفلح الشلال شيخ زبيد، فأواه والتزم جانبه. وقد اراد صادق أن
يعمل مثلما فعل اخوه سعيد عندما التجا إلى شيخ المنتفك، فنال كرسي الباشوية بمعونته، ثم
استطاع أن انضم اليه جاسم بك الشاوي، وراح هؤلاء يجمعون العشائر ويحرضونها على
القيام بالثورة ضد الحكومة، وكانت باكورة اعمالهم أن اخذوا يشنون الغارات على القرى
والمدن ويقطعون الطرق، ولاسيما الطريق النهري بين بغداد والبصرة، وقد اضطر هؤلاء
بعد ذلك اعمالهم إلى ايقاف الحملة المنوي ارسالها بقيادة كتخداه محمد اغا إلى كركوك لصد
القوات الايرانية المرسلة لمعاونة محمود الباباني وتوجيهها نحو هذه العشائر الثائرة، إذ
خشي أن تتكرر حوادث عام 1813 في عهده فتؤدي إلى دخول ابن اخر من ابناء سليمان
الكبير إلى بغداد على اكتاف العشائر العربية الثائرة، غير أن داوود سرعان ما علم أن الشاه
نفسه قد تحرك من كرمنشاه نحو العراق، الامر الذي جعله يدرك خطورة الموقف ويتهيأ
للخروج بنفسه لمقابلته فأوقف زحف جيش كتخداه نحو جبهة الجنوب ليتولى قيادته ضد

افندي بتقرير إلى الباب العالي شارحا فيه الحالة الراهنة في العراق وموقف سليمان باشا السلبي، منتظرا ما يأمر به. ولما علم سليم اغا متسلم البصرة وصهر سليمان الكبير بسخط حكومة السلطان على والي بغداد، اعلن عصيانه وقطع علاقته بحكومة بغداد على امل أن ينال بعمله مساعدة المبعوث العثماني في ترشيحه لمنصب باشوية بغداد التي كان طامعا بها، فقد سبق له أن نافس علي باشا على الحكم عقب وفاة سليمان الكبير فبادر والي بغداد وارسل اليه حملة بقيادة اخيه احمد بك، ولما لم يجد سليم عونا له من شيوخ المنتفك، ركب سفينة وغادر البصرة حيث استقر به المقام في بندر بوشهر، فدخل احمد بك البصرة دون مقاومة واصبح متسلما عليها. وفي اثناء ذلك كان السلطان قد اطلع على التقرير الذي بعث به حالت افندي واصدر امره بإقصاء سليمان الصغير بقوة السلاح. قام حالت افندي على الفور بالمداولة مع محمود باشا الجليل واطلعه على المهمة التي ينوي القيام بها، فأبدى كل تأييد واستعداد للمشاركة في تنفيذ ما يأمر به، كما دعا حالت افندي عبد الرحمن الباباني (باشا السليمانية) للمساهمة في الحملة المراد تأليفها، فأبدى كل استعداد، لأنه كان يضمر الانتقام لوالي بغداد الذي سبق أن جرد عليه حملة عسكرية، ومما قاله عبد الرحمن الباباني لحالت افندي انه كان ينتظر مثل هذا الشرف ليقوم بالخدمة المطلوبة. وفي الوقت نفسه عمل حالت افندي أن يجمع حوله المماليك الناقمين على باشا بغداد، وعلى هذا اعد حالت افندي حملة كبيرة للزحف على بغداد شارك فيها بعض زعماء المماليك الذين كان باشا بغداد قد عزلهم فالتجأوا إلى عبد الرحمن الباباني وهما الخزنة دار السابق عبد الله اغا والجوقدار السابق طاهر اغا. كما انظم إلى الحملة عشائر طي والعبيد والعزة والبيات بالإضافة إلى محمود الجليلي وعبد الرحمن الباباني وقواتها. تحركت هذه القوات المختلفة التي كانت تقدر بخمسة عشر الف مقاتل حتى وصلت خزانات بالقرب من بعقوبة، فوجدت أن والي بغداد قد تهيأ لها وارسل قواته إلى هناك بقيادة كتخذاه فيض الله اغا وقد حصلت مناوشات بين الفريقين ولم تقع معركة فاصلة، وفي اثناء ذلك كان حالت افندي يوفد بعض جواسيسه إلى بغداد لاستطلاع الحالة من جهة، وللعمل كرتل خامس، حيث اخذوا يبثون